سيرة
الإمام
الأول.

٩٥٢,٨٥
ع ع ن

نشأة إمارة آل رشيد

الدكتور عبدالله الصالح العثيمين

قسم التاريخ — جامعة الرياض

الناشر : عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض

ص.ب : ٢٤٥٤ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

© ١٩٨١ م جامعة الرياض
جميع حقوق الطبع محفوظة ، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب ، أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخاً ، أو تسجيلًا ، أو غيرها إلا بإذن كتابي من صاحب حق الطبع .

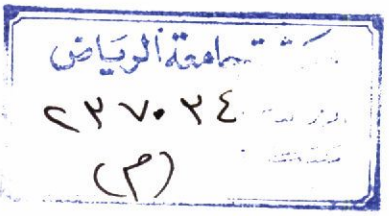

٥٦٤١٢
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ (١٩٨١)

مطابع الشرق الأوسط ت : ٤٠٢٧٦٣٣

شكر وثناء

الذين ساعدوني على إخراج هذا الكتاب الى حيِّز الوجود كثيرون . منهم من ساعدني بإمدادي بما لديه من معلومات أو بتسهيل مهمتي في الوصول إليها ، ومنهم من ساعدني بالمناقشة وتبادل وجهات النظر . فلكل من ساعدني بأية طريقة جزيل شكري ووافر ثنائي.

المؤلف

المحتويات

شكر وثناء ..... هـ

تقديم ..... ط

تمهيد ١

الفصل الأول : إمارة آل علي ٥

الفصل الثاني : آل رشيد قبل إمارتهم ١٩

الفصل الثالث :تعيين عبدالله بن رشيد أميراً لجبل شمّر والنتائج المباشرة.. لذلك ٤١

الفصل الرابع : عوامل نجاح الأمير عبدالله بن رشيد ومصادر دخله..... ووجوه إنفاقه ٦٩

الفصل الخامس : الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في إمارة عبدالله..... ابن رشيد ٧٩

الفصل السادس: علاقة عبدالله بن رشيد بالقوى المختلفة ٩٣

رموز بعض المصادر ١٢١

المصادر ١٢٣

تقديم

لقيت بعض جوانب تاريخ الجزيرة العربية في العصور المتأخرة عناية لا بأس بها من الباحثين. ومن مظاهر هذه العناية دراسات جيّدة تغطّي جوانب معيَّنة من تاريخ المملكة العربية السعودية قبل اتخاذها هذا الاسم وبعده. لكن جوانب أخرى من ذلك التاريخ ما تزال في حاجة إلى الدراسة والبحث. ومن هذه الجوانب تاريخ نشأة إمارة آل رشيد.

ومن المعروف أن عمر الإمارة المذكورة كان حوالى تسعين عاما، ابتدأ بتعيين الإمام فيصل بن تركي لعبد الله بن علي بن رشيد أميرا على جبل شمّر في نهاية سنة ١٢٥٠ هـ، أو في بداية السنة التالية لها، وانتهى باستيلاء الملك عبد العزيز آل سعود على حائل سنة ١٣٤٠ هـ.

ومن المعروف ، أيضا ، أن تلك الإمارة بدأت تابعة للإمام فيصل بن تركي، ثم أحاطت بها، وبالبلاد بصفة عامة، ظروف مكنتها من أن تصبح علاقة ذلك الإمام بها مختلفة عن علاقته بالإمارات الأخرى التابعة له. وظلت تلك الإمارة تقوى شيئاً فشيئاً حتى بدأ التنافس بينها وبين من كانت تابعة لهم. وتطوَّر ذلك التنافس إلى نزاع بين الطرفين حول النفوذ في منطقة نجد كلها. وتمكن آل رشيد من التغلّب على آل سعود في نهاية العقد الأول من هذا القرن. وبذلك انتهت الدولة السعودية الثانية. لكن الملك عبد العزيز آل سعود نجح، فيما بعد، في إحراز نصر نهائي على آل رشيد ، واستعاد حكم آبائه وأجداده على البلاد ممن استولوا عليه فترة من الزمن.

والدراسات المهتمة بتاريخ المملكة العربية السعودية بوجه عام تتناول، عادة، تاريخ إمارة آل رشيد ، خاصة تلك الفترة الممتدة من بداية التنافس بينهم وبين آل سعود حتى نهاية إمارتهم. ولعلّ من أوفى الدراسات عن تاريخ إمارة آل رشيد، خلال الفترة المشار إليها، تلك الدراسة التي خصصها مايكل بارون لهذا الموضوع، ونال بها درجة الدكتوراه من جامعة ميتشجن الأمريكية في سنة ١٩٧٩.(١) . وقد غطّت هذه الدراسات العامة والخاصة الجزء الأكبر من تاريخ تلك الفترة بإيجابياته وسلبياته. ووجود هذه الدراسات عن ذلك التاريخ، إضافة إلى ما قد يوجد في تناوله من حرج يبدو من أهم أسبابه قربه من المعاصرة ، يدفع الباحث إلى دراسة ما هو أكثر غموضا وأقل حساسية من التاريخ المذكور.

وهكذا جاء اهتمام هذه الدراسة ، التي بين يدي القارىء الكريم، منصبا على نشأة إمارة آل رشيد. ذلك أن تلك النشأة لم تدرس دراسة تجيب عن كثير من التساؤلات المتعلّقة بها، ولأنها أبعد فترات تاريخ آل رشيد عن الوقت الحاضر زمنا وأقلّها ، لذلك، حساسية.

وتاريخ نشأة تلك الإمارة مرتبط بحياة مؤسسها عبد الله بن علي بن رشيد بدرجة كبيرة. وتاريخ حياة ذلك الأمير قبل أن يصل إلى الإمارة ، والطريقة التي وصل بها إليها، وقضاؤه على منافسيه المحلّيين من أبرز الأمور التي ندرت عنها المعلومات أحيانا واختلفت حولها أقوال المصادر أحيانا أخرى. ولعلّ مما يساعد على تكوين تصوُّر واضح لهذه القضايا بالذات إعطاء عرض تاريخي للأوضاع السائدة في المنطقة قبل تأسيس عبد الله بن علي بن رشيد إمارته فيها. وذلك لا يتأتّى إلا بتناول أسرة آل علي، التي حلّ مؤسس إمارة آل رشيد محلها في إمارة الجبل.

---

(١) رغم ما في بعض فصول هذه الدراسة من عرض جيد فإن من قام بها لم يستعمل فيها رافدين مهمّين من روافد مصادر تلك الفترة التاريخية، وهما الوثائق العثمانية والشعر العاميّ ، أو ما يسمى أحيانا بالشعر الشعبي أو النبطي. ومن المرجح أن الباحث لو استعمل هذين الرافدين لظهرت دراسته أكثر جودة.

ونشأة إمارة آل رشيد ليست محدودة بتسلُّم عبد الله بن رشيد إمارة جبل شمّر وقضائه على منافسيه من آل علي، ولكنها ممتدة إلى وفاة مؤسس تلك الإمارة. وهي فترة استمرت حوالى اثنتي عشرة سنة. وقد شهدت البلاد خلال تلك الفترة أحداثا تاريخية هامة كان من أبرزها التدخُّل المصري العسكري الذي أدَّى إلى نهاية فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى سنة ١٢٥٤ هـ، وعودة ذلك الإمام إلى الحكم بعد خمس سنوات من التاريخ المذكور. وكان لبعض هذه الأحداث تأثير على أوضاع الأمير عبد الله بن رشيد ، كما كان لذلك الأمير من المواقف ما أثّر تأثيراً واضحاً في سير بعض تلك الأحداث. وإذا كانت الكتابة عن أحداث البلاد العامة في تلك الفترة ليست من أهداف هذه الدراسة فإن من صميم اختصاصها إبراز القضايا التي أثّرت في مواقف ذلك الأمير والقضايا التي تأثرت بمواقفه على حد سواء.

وكان للأوضاع الداخلية في إمارة عبد الله بن رشيد دور لا يستهان به في انتهاجه السياسة التي انتهجها، كما كان لصفاته الشخصية أثر في توجيه تلك الأوضاع الداخلية. وكل من هذه وتلك لها بصماتها الخاصة في رسم سياسة إمارته الخارجية وعلاقتها بالحكومات المسيطرة على قاعدة نجد، الرياض، والمناطق المجاورة لجبل شمّر جنوبا أو شمالا. وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة محاولة أن تتناول كل ما له علاقة بنشأة إمارة آل رشيد من ظروف تاريخية وأوضاع داخلية وخارجية في ضوء ما توافر لدى كاتبها عنها من معلومات.

والمعلومات المتوافرة عمّا سبق ذكره مختلفة الروافد. لكن أهم هذه الروافد أربعة :

الأول : المؤلفات التاريخية المحلّية . وبعضها كتبها مؤرخون عاصروا الأحداث التي هي موضوع الدراسة هنا. وفي طليعة هؤلاء ابن بشر والفاخري. لكن رغم ما في تاريخي هذين المؤلفين من معلومات قيّمة ، بصفة عامة، فإن اهتمامهما كان منصبا على الحكومة المركزية في الرياض. ولذلك جاء تناولهما لأحداث جبل شمّر ثانويا مختصرا، واضحا أحيانا

ومتّسما بالغموض أحيانا أخرى. وبعض تلك المؤلفات كتبها أناس غير معاصرين للأحداث المشار إليها. وفي مقدمة هؤلاء ضاري الرشيد ومقبل الذكير. ومع ما في نبذة ضاري التاريخية من أخطاء واضحة في عدة مواضع فإن فيها معلومات جيّدة عن إمارة آل رشيد غير موجودة في غيرها من المصادر. والمعلومات الواردة في تاريخ مقبل الذكير عن نشأة إمارة آل رشيد بعضها مأخوذ من ابن بشر، وبعضها الآخر مستمد من مصادر غالبها، على الأرجح ، الروايات الشفهية.

والثاني : كتب الرحّالين الأوربيين. ويأتي في طليعة هؤلاء والين، الذي زار منطقة جبل شمّر في أواخر عهد مؤسس إمارة آل رشيد. والمعلومات الموجودة في كتابه عن نشأة الإمارة تفوق غيرها من حيث الجودة والإفاضة. وكتاب الرحالة هوبير، الذي زار حائل زمن إمارة محمد بن عبد الله بن رشيد يقلّ عن كتاب والين في بعض النواحي، كوصف الحالة الاجتماعية ، لكنه أكثر تفصيلا منه في بعض النواحي الأخرى، مثل وصف الصراع الذي دار بين آل رشيد وآل علي. ومؤلفات الرحالين الأوربيين الآخرين، مثل جوارماني وبلجريف ودوتي وموزل ، تأتي في مرتبة ثانية بعد كتابي والين وهوبير بالنسبة لنشأة إمارة آل رشيد.

وثالث الروافد المشار إليها الوثائق المختلفة ، محلّية وغير محلّية . والوثائق المحفوظة في عابدين في القاهرة، والمتعلقة بحملة إسماعيل أغا وخالد بن سعود وحملة خورشيد المدعّمة لحملتهما، تحتوي على معلومات لا غنى عنها لمن يريد أن يتقصّى أخبار تلك الفترة. وما ورد عن جبل شمّر ، بالذات ، يزيل بعض الغموض الذي لا تستطيع إزالته المصادر الأخرى.

أما الرافد الرابع والأخير للمعلومات المتعلّقة بنشأة إمارة آل رشيد فهو الشعر المحلّي، أو ما يسمّى أحيانا بالشعر النبطي أو الشعبي. ومن المعروف أن كثيراً من هذا الشعر كان يتناول الأمور السياسية الجارية، آنذاك ، في المنطقة . ولعلّ مما يزيد من أهميته كمصدر لتاريخ الإمارة المذكورة، أن كلاً من عبد الله بن رشيد وأخيه عُبَيد كان شاعرا. وقد حفل شعرهما بذكر كثير

من المشاكل والأحداث التي مرّت بهما وبمنطقتهما.

والأمل أن يجد القارىء الكريم في بعض جوانب هذه الدراسة ما يشفع لكاتبها عن تقصيره في جوانبها الأخرى.

والله وليّ التوفيق ...،،

الرياض : جمادى الثانية ١٤٠٠ هـ